

الدرس : 05 - سورة فاطر - تفسير الآيات 11 - 12 خلق الله



1992-05-15 📅

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

في القرآن الكريم إشارات إلى آيات كونية:

أيها الإخوة الأكارم؛ مع الدرس الخامس من سورة فاطر، وقد وصلنا إلى الآية الحادية عشرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ..
مرة ثانية في القرآن الكريم من حين إلى آخر إشارات إلى آيات كونية، ولأن الله عز وجل جعل الآيات الكونية دالة عليه، وطريقاً إليه، وسبباً لمعرفته، حيث قال تعالى:

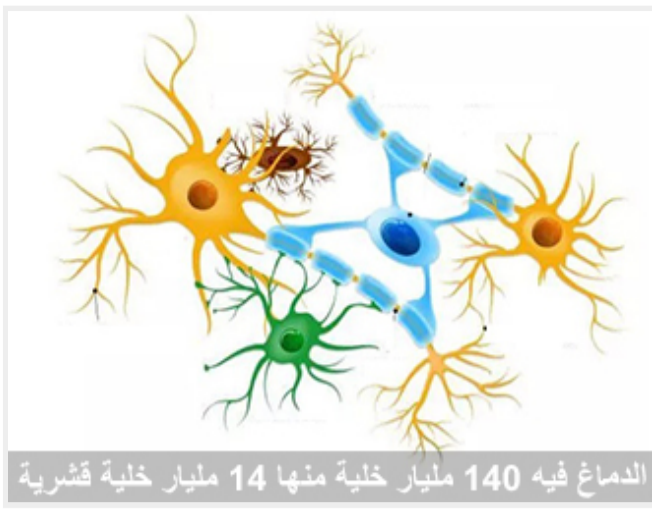
﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6)﴾

[سورة الجاثية]

إذا كان الله عز وجل يدعونا إلى أن نعرفه بهذه الطريقة، من هذا الأسلوب، بهذا السبب: ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أحياناً قد يزداد الإنسان علماً بأمر الله، ولا يزداد علماً بالله، ضعفه في تنفيذ هذه الآيات إذا ازداد علمه بأمره ولم يزدد علمه به، ينشأ التناقض، يعلم ولا يطبق، يقتنع ولا يسلك، من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً، إذا لا بد من أن نتحرك على خطين، على خط معرفته، وعلى خط معرفة أمره، وإذا ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم آيات كونية، فهذه عنوانات لموضوعات التفكير، وقد أمضينا في الدرس الماضي جزءاً كبيراً منه في الحديث عن آية السحاب والأمطار والرياح، وما إلى ذلك.

عجائب خلق الله في الإنسان:

واليوم ربنا عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ .. أنت أيها الإنسان العاقل لو رأيت قطعة من خشب، ورأيت علبه من خشب، قطعة الخشب وعلبة الخشب كلاهما من خشب، لكن العلبه لابد من يد صانع صنعها، تحكم بعقلك أنه لابد لهذه القطعة من الأثاث المصنوعة من الخشب من صانع صنعها، ومن مصمم صممها، ومن مكوّن كوّنها، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج - كما قال هذا الإعرابي ببساطة - البعرة تدل على البعير، والأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟ الله عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ .. أي نقطة ماء تصبح طفلاً بعد أشهر تسع، ما هذا الطفل؟ كائن له جلد، فيه دماغ، بدماغه 140 مليار خلية، 14 مليار خلية قشرية،

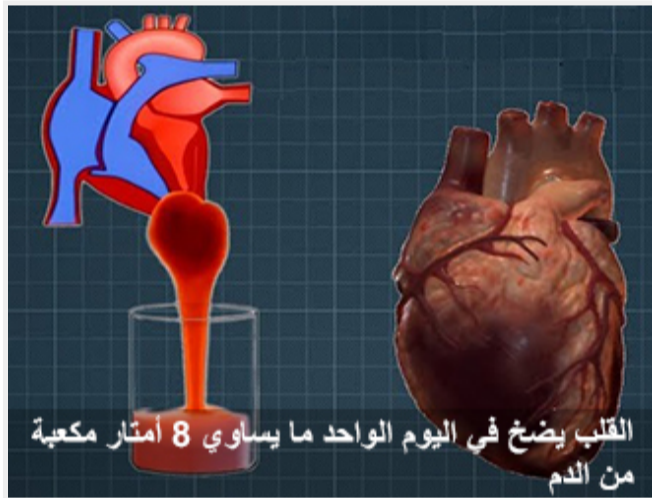


الدماغ فيه 140 مليار خلية منها 14 مليار خلية قشرية

أعصاب، هيكل عظمي، عظام متحركة، عظام ثابتة، مفاصل متحركة، مفاصل ثابتة، عضلات مخططة، عضلات لساء، جهاز هضم، الفم، واللسان، والبلعوم، والمريء، والمعدة، والأمعاء الدقيقة والغليظة، والامتصاص، والكبد، والبنكرياس، والرنثان، والقلب، والدسامات، والأوردة، والشرايين، والغدد الصماء، والغدد ذات الإفراز الداخلي والخارجي، هذا الطفل الصغير الكبد تقوم بـ5000 وظيفة،



والقلب يضخ في اليوم الواحد ما يساوي 8 أمتار مكعبة من الدم، لو قرأت أي كتاب بين يديك، كتاباً بسيطاً جداً في التشريح لرأيت العجب العجاب، هذا الطفل من خلقه؟



{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)}

[سورة الطور]

كائن، أعقد كائن في الكون.

ماذا أقول لكم؟ لو أن الإنسان غُلِقَ من رجليه، وأسقيناه كأس ماء لصعد الماء نحو الأعلى على خلاف قانون الجاذبية، لأن المرء مجهز بعضلات دائرية تتقلص تباعاً، وتدفع الطعام نحو الأعلى، لو غُلِقَ من رجليه، الأشياء التي يمكن أن تقال عن جسم الإنسان شيء يفوق حدّ الخيال: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} من الذي صمم أن الشعر والأظافر ليست فيها أعصاب حس مثلاً؟ من؟ لو أن الله عز وجل أودع في الشعر والأظافر أعصاب حس لاحتجنا إلى عملية في مستشفى كي نحلّق رؤوسنا، تخدير عام، من جعل في العظام أعصاب حس؟ الإنسان حينما لا سمح الله تُكسّر رجليه لشدة الألم المتولد من أعصاب الحس يُبقيها كما هي، وإبقاء رجليه المكسورة كما هي أربعة أخماس علاجها، من؟ من جعل في الأنف هذا الشعر ولم يجعل في الفم ذلك الشعر؟ لو أن الشعر في الفم أيضاً كيف نأكل؟ من جعل هذا المفصل؟ لولا هذا المفصل لاضطر الإنسان أن يأكل كالقطة، ينبطح على الأرض، ويأكل الطعام بلسانه فقط، لولا هذا المفصل.



﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾

[سورة التين]

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)﴾

[سورة الانفطار]

هذا الخلق ألا ينبغي أن يلفت نظرنا؟ الله عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ﴾ هذا الخلق العجيب هل رأيت أن هناك تعديلاً طراً على خلق الإنسان؟ هل سمعت أن إنساناً له موديل مثلاً؟ ممكن؟ منذ أن خلق الإنسان خلقاً كاملاً، معنى ذلك أن خبرة الله قديمة، أما الإنسان فخيرته تنمو، كل سنة يُعدل، يتلافى نقصاً، يقوّي مكاناً ضعيفاً، يحل مشكلة في الآلة، كلما تقدم الزمن نمت خبرة الإنسان، أما ربنا عز وجل فخيرته قديمة، منذ أن كان الله عز وجل كان الله ولم يكن معه شيء.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينِ آبَاؤِكُمْ وَأَبْنَاؤِكُمْ لَا تَذَرُوهُمْ أَقْرَبَ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)﴾

[سورة النساء]

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (35)﴾

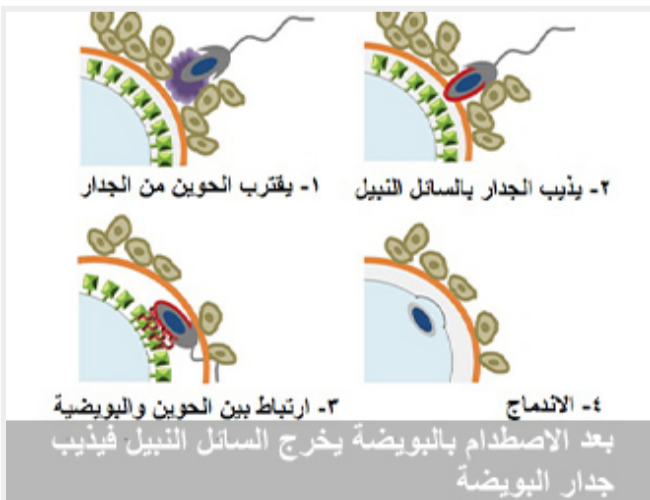
[سورة النساء]

خيرته قديمة.

أنا قصدي أن الله عز وجل يبين لنا أن هذا الماء المهين 300 مليون حوين في اللقاء الزوجي،



والحوين في رأسه مادة نبييلة مغلقة بغشاء رقيق، فإذا اصطدمت بالبويضة تمزق الغشاء فخرج هذا السائل النبيل، أذاب جدار البويضة، ودخل هذا الحوين، وتمّ اللقاح.

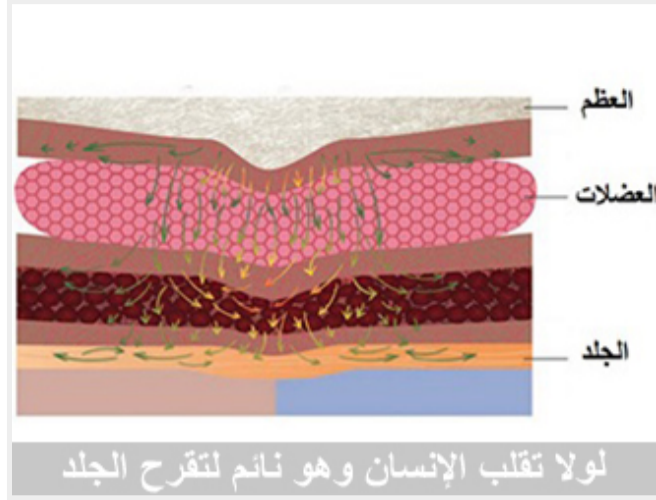


والله أيها الإخوة الأكارم؛ والله خلق الإنسان في الرحم شيئاً لا يُصدّق، الولادة:

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ (20)﴾

شيء لا يصدق، الأعصاب، العضلات، الأجهزة، الغدد.

الإنسان ينام، حينما ينام ماذا يحصل؟ يحصل أن جسمه مؤلف من هيكل عظمي، وفوق العظام يوجد عضلات، وتحت العظام يوجد عضلات، فالعضلات التي فوق العظام وزنها يضغط على العضلات التي تحت الهيكل العظمي، حينما تُضغَط هذه العضلات تُضيق لمعة الأوعية الدموية، تضعف التروية فيتقلب الإنسان، من الذي يعطي تنبيهاً للدماغ أن هذه المنطقة قد ضُغِطت، وضائق لمعة الأوعية الدموية فيها فيتقلب الإنسان على شق آخر، وهو نائم،



ربنا عز وجل قال:

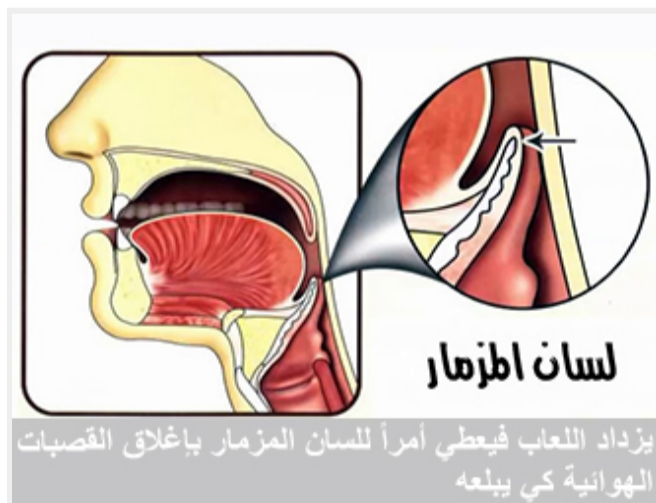
﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَّنتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18)﴾

من الذي جعل هذا الإنسان يتقلب في الليل؟ ما بين 35 مرة إلى 39 مرة وهو لا يدري؟!



الإنسان يتقلب في الليل 34 مرة

ليس على جنب واحد، وإلا لوقع من على السرير: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ مرة هكذا، مرة هكذا، صنع من؟ وأنت نائم يزداد إفراز اللعاب في فمك فيأتي تنبيهه إلى الدماغ، زاد اللعاب، فيعطي أمراً للسان المزمار بأن يفتح، يخلق على القصبات الهوائية، ويفتح المريء فيسيل اللعاب إلى مكانه الطبيعي، وأنت نائم،



يزداد اللعاب فيعطي أمراً للسان المزمار بإغلاق القصبات الهوائية كي يبلعه

من أعطى أمراً لهذه الحدقة تتسع إذا اشتد الظلام؟ ومن أعطى أمراً وأنت لا تدري كي تضيق إذا اشتد النور؟ راقب عينك بمرآة تتسع الحدقة إذا ضعف النور، وتضيق إذا اشتد النور،



صنع من؟ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ هو الخالق.

الإنسان لو أمضى كل حياته في التفكير بخلقه لما انتهى من عجائب هذا الجسم:

إذاً:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾

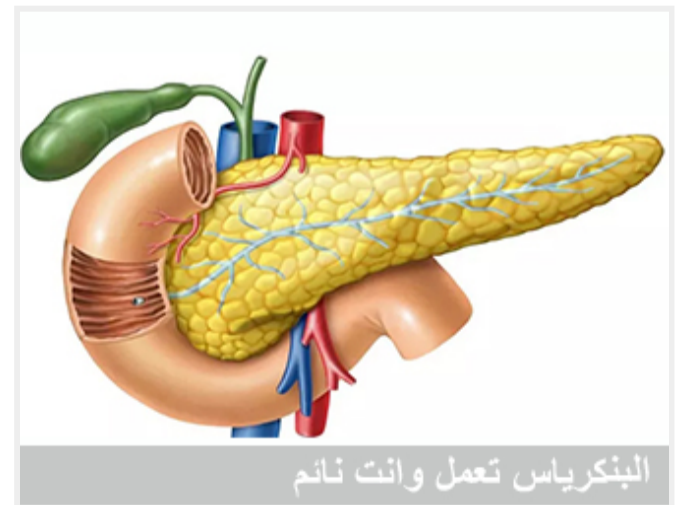
[سورة البقرة]

يوجد بالعين، يوجد بالأنف، يوجد بالأذن، يوجد باللسان، يوجد بجهاز الهضم، يوجد بجهاز الدوران، يوجد بجهاز التصفية، شيء عجيب جداً، هذه حقائق بسيطة جداً، يدرسها طلاب التعليم الثانوي، وفي الجامعة حقائق أعقد، والآن هناك بحوث ومعلومات أدق بكثير عن خلق الإنسان:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)﴾

[سورة الطور]

الإنسان يوجد بين يديه وسيلة إيضاح وأداة لمعرفة الله لا تنقضي طوال حياته، لو أمضى كل حياته في التفكير بخلقها لما انتهى من عجائب هذا الجسم العجيب. إذاً: الله عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ﴾ هذا القوام، من الذي قال للعظام: توقفي عن النمو؟ من قال؟ أجيبوني، لا أحد يعرف، هذا العظم ينمو وينمو وينمو، ذات مرة سألت أستاذاً من الذي يجعل هذا العظم يقف عند هذا الحد لأن الله قابض وباسط؟ فقال لي إجابة مضحكة قال: كأن هناك خطأ في الفراغ تتحرك العظام نحوه، فإذا وصلت لهذا الخط توقفت نموها، حسناً من الذي رسم هذا الخط يا أستاذاً؟ من هو القابض؟ لو أن الإنسان يزداد طوله إلى ما شاء الله؟ هذا مرض خطير اسمه: العملاقة، الأسنان تقف عند حد، والعظام عند حد، والشعر عند حد، هذا من اسم القابض، حسناً أنت تذهب لتنام، من الذي صمم جسمك أن حركة الرئتين تعملان آلياً؟ لو أن الله عز وجل أوكلك التنفس، هل بإمكانك أن تنام؟ إذا نام الإنسان مات، ولحكمة أرادها الله عز وجل كل 200 ألف شخص إلى 500 ألف تجد إنساناً يصاب بمرض مركز تنبيه الرئتين يصاب بتلف، هذا الإنسان لا يستطيع أن ينام أبداً، فإذا نام مات، بعد لأيٍ وجهد طويلين وصل العلماء إلى دواء، يأخذه هذا المريض كل ساعة الدواء ليستطيع أن ينام، أعرف شخصاً بدمشق أصيب بهذا المرض، فهذا الدواء يجب أن يأخذه الساعة التاسعة، والساعة العاشرة، والساعة الحادية عشرة، والساعة الثانية عشرة، والواحدة، والثانية، وإلا فإنه يموت، أنت تغط في نومك، أمور قلبك، أمور رنتيك، أمور لسان المزمار، أمور القلب كلها، ابحث عن الحركات المعقدة، التي تجري وأنت نائم، الهضم،



لو أوكلك الهضم إليك، تعشيت ونمت، البنكرياس ما أفر غناها، لا حول ولا قوة إلا بالله تأخرنا، ساعة

البنكرياس، وساعة الصفراء، وساعة الأمعاء الدقيقة، توقفت ولم تعمل، وساعة الأمعاء الغليظة، أنا نائم، تجد للعباب، والمريء، والمعدة الحركات، والمواد الهاضمة، وحمض كلور الماء، والبنكرياس من جهة، والصفراء من جهة، والإفرازات الداخلية، وحركة الأمعاء اللولبية، إلى أن يصبح هذا الطعام دماً، وأنت نائم. حركة القلب، لو أن الإنسان أوكلك إليه حركة قلبه، شيء صعب جداً، تتعطل أعماله كلها، لو أوكلك إليه تصفية دمه، تتعطل أعماله كلها، لو أوكلك إليه التنفس فقط، فهذا الرجل المريض اشترى أربعة منبهات، أوى إلى فراشه الساعة العاشرة إذاً: الساعة الحادية عشرة يأخذ حبة، يرجع ينام، الساعة الثانية عشرة يأخذ حبة، يرجع ينام، الساعة الواحدة يأخذ حبة، يرجع ينام، والساعة الثانية ليلاً يأخذ حبة: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لهذا الرجل المريض ابن في أمريكا جاء من سفر بعيد، من فرحه به سهروا سهراً طويلاً، ثم ناموا، وضربت المنبهات فلم يستيقظ، فوجدوه صباحاً ميتاً، فأنت كم جهازاً عندك في جسمك؟ جهاز حركة الرئتين الآلية، ضربات القلب الآلية، الهضم الآلي، التصفية الآلية، البلعوم الآلي، القلب الآلي، هذا كله وأنت نائم.

معنى قوله تعالى: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ:

الله عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.. والله خالق هذا الكون هو الذي خلقكم، قال: من تراب. المعنى الأول: أن الله جل وعلا خلق آدم من تراب، فهذا نسبة إلى الأصل، مادمننا من آدم جميعاً، وآدم من تراب، إذ أنحن من تراب، هذا المعنى الأول. المعنى الثاني: أنت الآن حينما يأتيك صبي لتوه، وزنه 3 كيلو، بعد 20 سنة صار وزنه 70 كيلو، أو 80، أو 60، اطرح 3 من 70، 67 كيلو من أين جاءت؟ من الطعام



والشراب،

من تناول الأطعمة والأشربة، هذه الأطعمة من أين جاءت؟ خطر في بالي وأنا في طريقي

إليك أن 1000 بذرة خيار وزنها 16 غراماً، هذه 1000 بذرة تعطي في شروط عالية جداً 16 طناً، فإذا كان الغرام أعطى ألفاً، والألف أعطت ألفاً، أي مليوناً، ألف ألف أي مليون ضعف، من أين جاء هذا الوزن؟ 16 غراماً وزن البذور تعطي 16 طناً، أليس من التراب؟ من التربة، الآن أدخل إلى حقل زراعي تجد مجموعاً خضرياً كبيراً جداً، له وزن، فمن أين جاء هذا الوزن؟ من التراب.

المعنى الثاني: أن هذا الوزن الذي حصلته فارق الوزن بين وزن الولادة والوزن الحالي هو من الطعام والشراب، والطعام والشراب من التراب، فإذا قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ شيء رائع، أي أنت من هذا التراب.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)﴾

[سورة طه]

فعلام الكبر؟ إذا كنا من تراب ومصيرنا إلى التراب، والتراب يداس بالأقدام.

خفف الوطء ما أظمن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

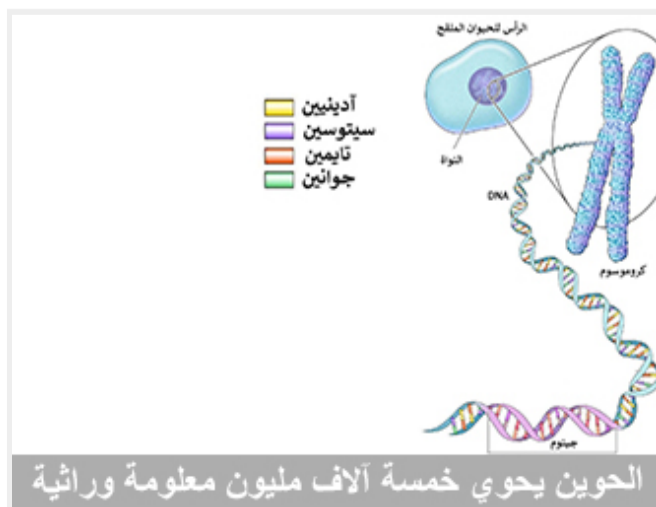
سير إن استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد

[أبو العلاء المعري]

هكذا يقول بعض الشعراء.

لقطات عن خلق الإنسان:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.. النطفة، الحوين 300 مليون حوين تخرج من الرجل في اللقاء الزوجي، تختار البويضة واحداً منها، الحوين يتحرك حركة عن طريق ذيل، كيف أن السمكة تتحرك بالطريقة هذه، كذلك هذا الحوين يتحرك في الساعة عشرة سنتمتر تقريباً، وهذا الحوين له رأس، وله عنق، وله ذيل، وكما قلت قبل قليل: في رأسه مادة نبيلة، مغلفة بغشاء، إن اصطدمت بالبويضة تمزق الغشاء، وأذابت هذه المادة النبيلة جدار البويضة، ودخلت إليها، هذا الحوين- هذا الكلام الذي أقوله لكم هو معلومات بسيطة جداً- هذا الحوين عليه خمسة آلاف مليون معلومة،

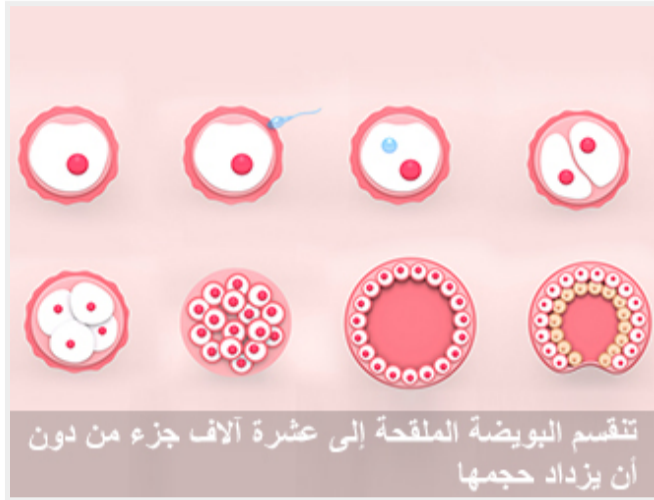


أنت شعرك له لون، العينان لهما لون، واسعتان، صغيرتان، أنف أفنى، أنف طويل، خد أسيل، شعر جعد، كل الصفات الدقيقة، حتى أدق الصفات مصممة بهذا البرنامج، برنامج زمني، هذا الحوين عليه خمسة آلاف مليون معلومة، والبويضة عليها خمسة آلاف مليون معلومة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)﴾

[سورة الإنسان]

أنا أذكر لقطات غير منظمة أيضاً عن خلق الإنسان، كيف تنقسم هذه الخلية الملقحة، البويضة الملقحة، تنقسم إلى عشرة آلاف جزء من دون أن يزداد حجمها، لأنها تسير في نفق، لو ازداد حجمها الوقت، وكيف تصل إلى الرحم، وكيف تنغرز بالرحم، وكيف تتجه الأوعية الدموية لتغذية هذه البويضة الملقحة؟ ثم كيف تنماوج؟



تصبح دماغاً، وتصبح أحشاء، وأعضاء، بشكل عجيب عجيب، وفي الشهر التاسع هذا الطفل يولد من بطن أمه كائناً سوياً، له قوائم، وعضلات، وعظام، وأجهزة، وحواس، وغدد، وما إلى ذلك.

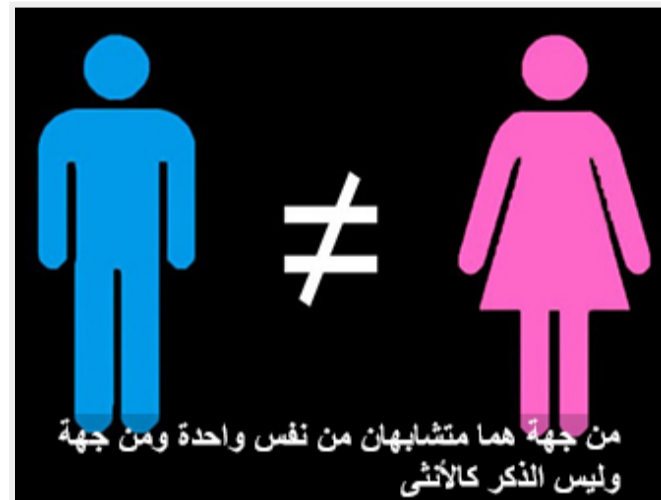
خصائص الذكر والأنثى بين الاتفاق والاختلاف:

أيها الإخوة الأكارم؛ قد لا تذكر كيف ولدت، ولكن ابنك يُعلمك، هكذا كان أصلك، هكذا وُلدت بهذه الطريقة، فر بنا عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾.. مَنْ جعل ذكراً وأنثى؟ من أعطى الذكر خصائصه العقلية وخصائصه الجسمية البيولوجية وخصائصه النفسية وخصائصه الاجتماعية؟ ومن أعطى الأنثى خصائصها الجسمية وخصائصها النفسية والعقلية والاجتماعية؟ من جعل بين الذكر والأنثى قاسماً مشتركاً لتكون الأنثى سكناً للرجل؟ ومن جعل فارقاً دقيقاً بين الأنثى والذكر؟

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾

[سورة الليل]

من جهة هما متشابهان من نفس واحدة، ومن جهة وليس الذكر كالأنثى، الأنثى مجهزة بكل



الخصائص الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية لتكون أمّاً، زيد في عاطفتها، وزيد في حساسيتها، وزيد في انفعالاتها، واتجهت لأن تكون سكناً للرجل، والرجل زيد في قوته العضلية، وزيد في قوة محاكمته، وزيد في جلده ليكون كاسباً للرزق. فعن عائشة قالت:

((تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام حولة بنت ثعلبة، ويخفي عليّ بعضه، وهي تشنكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: قد سمع قول التي تجادلك في زوجها وتشنكي إلى الله.))

[الروايع: الصحيح المسند خلاصة حكم المحدث: ذكره في الصحيح المسند]

ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، أنا أربي، وهو لا يربي، وإن ضممتهم إليّ جاعوا - أنا لا أكسب الرزق، هو يكسب الرزق.

الذكر والأنثى كل له ميدانه:

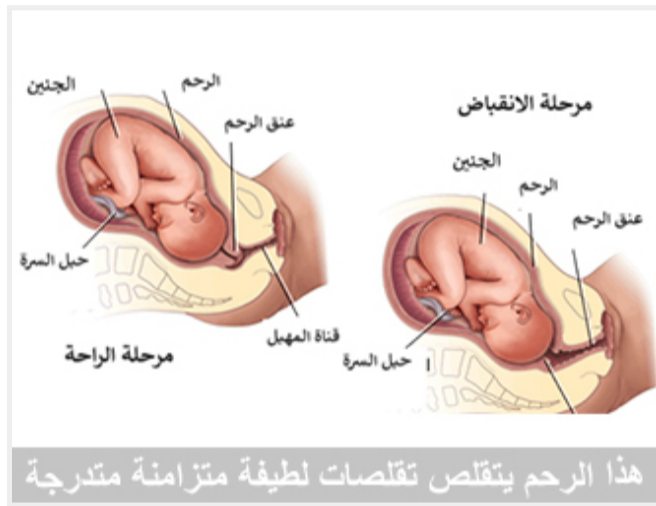
الله عز وجل جعل الرجل له خصائص، والمرأة لها خصائص، متساويان تماماً في التكليف والتشريف، والثواب والعقاب، ومختلفان في البنى، لذلك أية عملية هدفها أن تجل المرأة محل الرجل، أو أن يجعل الرجل محل المرأة فهي إفساد للحياة، إفساد كبير، كلاهما مساوٍ للآخر من حيث أنه مكلف بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، ومستحق للثواب والعقاب، ولكن المرأة صُممت، وجُهزت بوسائل وخصائص تعينها على أداء مهمتها في الحياة، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: "انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلقك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل الجهاد في سبيل الله".

نظام الزوجية في الكون:

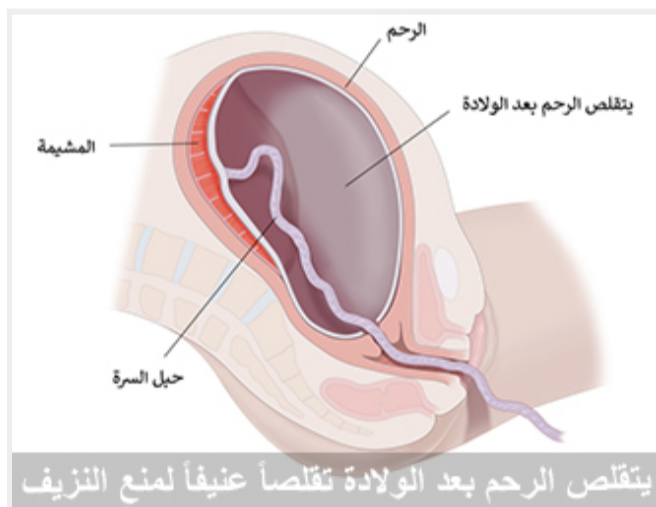
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾.. نظام الزوجية في الكون نظام رائع، نظام بديع، نظام معجز، كيف أن الزوج والزوجة ينجبان هذه المخلوقات، ينجبان الأطفال، كيف أن النبات أساسه الزوجية، كيف أن الحيوان أساسه التزاوج، يكاد يكون التكاثر الزوجي هو النمط الأعم الغالب في الحياة، من صمم ذلك؟ الله سبحانه وتعالى.

حمل الأنثى ووضعها بعلم الله عز وجل:

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.. عملية الحمل عملية معقدة جداً، فحمل الأنثى ووضعها بعلم الله عز وجل. أريد أن أوضح لكم ناحية، أنا حينما أنظر إلى أخ يحرك هذا الكأس، أقول: أنا أعلم ما تفعل، لأنني أشاهد ما يفعل، أما حينما أحركه بيدي فهذا أبلغ من العلم، إذا كنت تراقب حركة، وقلت: أنا أعلم ماذا حصل، هذا شيء طبعاً بديهي، أما حينما تحرك هذا الشيء بيدي فهذا أبلغ من العلم. من الذي كوّن هذا الجنين في بطن أمه؟ الله سبحانه وتعالى، يد من؟ هذا الرحم الذي حجمه تقريباً 7,5 سنتيمترات مكعبة، يصبح الرحم بحجم كبير جداً حينما يمتلئ بالجنين في تسعة أشهر، ثم هذا الرحم يتقلص تقلصات لطيفة متزامنة متدرجة، الطبيب يعرف أن بعد ساعتين تلد،



أو بعد خمس ساعات، من التوقيت، من الزمن بين التقلصين، كل ساعة تقلص، كل خمسين دقيقة تقلص، كل أربعين، كل ثلاثين، كلما اقترب ز من التقلصين اقتربت الولادة، من جعل هذا الرحم يتقلص هذا التقلص اللطيف إلى أن يدفع الطفل إلى خارج الرحم فإذا دفعه تقلصاً عنيفاً، وشديداً، ليسد هذه الأوردة والشرابين التي تمزقت من الولادة، فإذا رأى الطبيب أو القابلة أن هذا الرحم صخري التكوين فالولادة سليمة، فإذا كان رخواً الحالة في خطر، معنى ذلك أن هناك نزيفاً، من جعل هذا الرحم يتقلص؟ هو يعقل؟ تقلصاً لطيفاً لطيفاً ثم يتقلص تقلصاً عنيفاً،



العلماء يقولون: لو انعكست الآية لماتت الأم نزيهاً، والولد خنقاً، هنا انعكست الآية، لو تقلص الرحم تقلصاً عنيفاً، والجنين في داخله لمات الجنين، فإذا تقلص تقلصاً رخواً بعد الولادة لماتت الأم نزيهاً، فربنا عز وجل يقول: ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ الله عز وجل يعلم، علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

شبهة لا قدم لها ولا ساق:

هناك شيء آخر، قد يقول قائل: الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (34)

[سورة لقمان]

لم يقل: ويعلم من في الأرحام، أي إذا توصل العلماء إلى تصوير الجنين، أو تحليل دمه، أو أخذ السائل الأمنيوسي، فعرفوا أن الجنين ذكر أو أنثى، وقد يخطئون حتى الآن، ليس معنى هذا أن الآية انتقضت، الله عز وجل يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ وهذه "ما" تشمل كل صفات الجنين، أي من يعلم أن هذا الطفل سيكون عالماً جليلاً أو مجرماً خطيراً؟ من يعلم أن هذا الطفل سيكون المعياً أو غيبياً؟ من يعلم أن هذا الطفل سيكون معمرأ أو قصير العمر؟ هذا كله يعلمه الله عز وجل.

الموت أخطر حدثٍ عند الإنسان:

﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾.. مادام حدث الموت أخطر حدثٍ عند الإنسان، في قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ (2)

[سورة الملك]

هذا تقديم اهتمام، تقديم خطوة، بما أن الموت أخطر حدث في حياة الإنسان إذاً هو من فعل الله عز وجل، ولا يستطيع بنو البشر مجتمعين أو متفرقين أن يُنْهَوْا حياة إنسان، هكذا عقيدتنا، قد يبدو لك في الظاهر أن فلاناً قتل فلاناً، المقتول يموت في أجله، إنهاء الحياة لا يمكن أن يكون بيد البشر، إلى أنه بيد خالق البشر، وإذا تم على يد البشر فبإذن خالق البشر، هذا كلام قطعي، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، إنهاء الحياة لا يكون إلا بيد الله عز وجل، فأن تقول: فلان طال عمره، وفلان قصّر عمره، وفلان مات بحادث، وفلان لو لم يفعل كذا لما مات، لو أن الطبيب أسعفه لما مات، لو أن التخدير كان جيداً لما مات، كل إنسان محاسب عن تقصيره، أما أن تقول: فلان أماته قبل أجله فهذا شيء مستحيل.

قيمة العمر في العمل الصالح لا في مدته:

إذاً: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾.. وهناك تعليق لطيف على موضوع العمر، كلكم يعلم أن هناك عمر أزمناً، فلان يعيش 80 سنة، 70، 60، 45،



هذا العمر قيمته لا بمدته، قيمته بما ينطوي عليه

38، 110، 130، 90، 115، هذه أعمار الإنسان،

قيمة العمر في العمل الصالح لا في مدته

من عمل صالح، فلذلك إذا سألت الله عز وجل أن يطيل عمرك ليس معنى ذلك أن يزداد العمر أمداً، ولكن أن يزداد غنى بالأعمال الصالحة، فالنبي عليه الصلاة والسلام عاش 63 عاماً، وكم من أمته من عاش فوق هذه السن! لكنه ترك أثر في الحياة، لا ينمحي إلى يوم القيامة، ترك أثر في مشارق الأرض وفي مغاربها، كان رحمة مهداة، ونعمة مزجاة، العلماء العاملون تركوا أثراً كبيراً جداً، فلا تقس عمرك بمدته، قسّه بما ينطوي عليه من عمل صالح، تماماً كما لو فتحت محلّك التجاري أربع عشرة ساعة، وبعث بألف ليرة، وإنسان فتح محله ساعة واحدة وباع بمليون ليرة، هل يفخر الذي فتح المحل أربع عشرة ساعة أنا أداوم حتى الساعة العاشرة ليلاً أما أنت فدوامك ساعة واحدة؟ مسكين على هذا الحظ، بهذه الساعة باع بمليون ليرة، وهذا الذي فتح محله أربع عشرة ساعة باع بألف ليرة، فقيمة العمل التجاري لا في أمد التجارة، بل في أرباحها، وكذلك قيمة العمر لا في أمده، بل في أعماله الصالحة، لهذا قالوا: إن الغنى غنى العمل الصالح، وإن الفقر هو فقر العمل الصالح.

المسارعة إلى الصالحات لأن الدنيا لا قيمة لها:

سيدنا موسى حينما سقى لهاتين المرأتين قال:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (24)

[سورة القصص]

أنا فقير لعمل صالح، والذي يؤكد ذلك أن الإنسان حينما يغادر الدنيا، أو حينما يشعر بأن المغادرة قد اقتربت، حينما يشعر أن أجله أصبح قريباً لا يندم إلا على ساعة مضت لم يذكر الله فيها، أو لم يعمل فيها عملاً صالحاً، وقد ورد في الأثر أن الإنسان لو أن الدنيا كلها بيديه، كل الأراضي في العالم لك، وكل المحلات التجارية لك، وكل الشركات المتعددة الجنسيات لك، وكل موارد الأرض لك، وجاء ملك الموت تتمنى أن تعطي كل هذا لمن يسمح لك أن يزيد العمر ساعة واحدة تؤدي فيها ركعتين لله عز وجل، هذه حالة

الإنسان حينما يغادر الدنيا، فنحن والحمد لله في بحبوحه، نحن أحياء، والقلب ينبض، يمكن أن نتوب، يمكن أن تصحح الماضي، يمكن أن تعاهد الله عز وجل، يمكن أن تدع هذا العمل السيئ، يمكن أن تتخلى عن هذا المبلغ الحرام، يمكن أن تصطلح مع زيد، يمكن أن تستسمح من عبيد، فما دام القلب ينبض فأنت في بحبوحه، فلذلك:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُنْتَفِعِينَ (133)﴾

[سورة آل عمران]

الإنسان مخير واختياره ينتهي عند الموت:

الآية الدقيقة:

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَنبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)﴾

[سورة البقرة]



أنت لك وجهة، لك أن تتجه إلى الحق أو إلى الباطل، إلى إرواء الشهوات أو إلى القربات، إلى أكل

أموال الناس بالباطل، أو إلى إعطاء الناس الضعفاء مالاً حلالاً، لك أن تؤذي، لك أن تنفع، لك أن تستقيم، لك أن تتحرف، لك أن تعطي، لك أن تمنع، لك أن تؤمن، لك أن تكفر: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ لك أن تنصح، لك أن تغش، لك أن تخلص، لك أن تخون، أنت مخير، أنت في خيار، لكن الله يراقب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِمٍ صَادٍ (14)﴾

[سورة الفجر]

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾، هنا يطالعنا سؤال: أيها الإنسان إياك أن تظن أن هذا الأجل إلى ما لا نهاية، أن هذا الاختيار مُنِحْتَهُ إلى ما لا نهاية، لا، الاختيار محدود، ينتهي عند الموت: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ ول وجهتك كيفما تشاء، افعل ما تشاء، اعملوا ما شئتم، هذا أمر تهديد، افعل ما تشاء، كله عليك مسجل، كله محسوب عليك، قال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ما دمت مخيراً، وما دمت ممنوحاً هذه الحرية، وما دام بإمكانك أن تؤمن، وأن تستقيم، وأن تتوب، وأن ترجع، وأن تصطلح مع الله، وأن تؤذي الحقوق، وأن تصلح ذات بينك: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ لكن إياك أن تظن أيها الإنسان أن هذا الاختيار مُنِحْتَهُ إلى الأبد، لا، هذا الاختيار مُنِح لك بشكل مؤقت، مُنِح لك في الدنيا، فإذا جاء الموت ألغى الاختيار.

﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ (4)﴾

[سورة الفاتحة]

وأصبحت في قبضة الله عز وجل، تماماً كما لو أن الطالب في الامتحان يكتب، بإمكانه أن يكتب، وأن يصحح، وأن يضيف، وأن يحذف، وأن يحل هذه المسألة، فإذا فُرع الجرس، سحبت الورقة من بين يديه، وانتهى، وصححت، ونالت علامة ثابتة، إما أنه ينجح، وإما أنه يرسب: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ لكن هذه الوجهة أنت مخير فيها، هذا الاختيار ليس معك على الدوام، مُنِح لك لوقت محدد، لهذا جاء قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، لأنه:

﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ ۖ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ ۖ قَمَالٍ هُوَ لَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)﴾

[سورة النساء]

الآية دقيقة جداً، الآن أنت مخير، واختيارك ينتهي عند الموت، وإذا جاء الموت طالك أينما كنت، في فراشك، في الطائرة، في بلد أجنبي، قبل الزواج، بعد الزواج، بعد نيل الدكتوراه، قبل مزاوله العمل، قبل العرس بيوم: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ﴾، يأتي بكم الله جميعاً.

من دلالات قوله تعالى: وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ:

إذا: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾.. قال بعض المفسرين: أن يعمر المُعَمَّر، أو أن يُنْقَص من عمره، أي حينما يُسْمَح للإنسان أن يعيش يوماً إضافياً، هذه نقطة دقيقة، كل إنسان مؤمن حينما يستيقظ يجب أن يعلم أن الله جلّ في علاه سمح له أن يعيش يوماً جديداً، لهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول:

((عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ إِذَا أَحَدَ مَضَجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتِ حَدِيهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أُمُوتُ وَأَحْيَا». وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ». (بخاري: 6314)))

[صحیح البخاری]

النوم موت، لذلك ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فأني لا أعود إلى يوم القيامة، والإنسان العاقل يسأل نفسه قبل أن يأوي إلى فراشه: كيف مضى هذا اليوم؟ ماذا فعلت؟ ماذا فعلت فيه عملاً ينفعني بعد الموت؟ ماذا عملت فيه عملاً يرضي الله عز وجل؟ هل عدت مريضاً؟ هل نصحت إنساناً؟ هل أمرت بمعروف؟ هل نهيت عن منكر؟ هل أصلحت ذات بين؟ هل وجهت أو لاديتي؟ هل رعت زوجتي؟ هل حققت هذه المصلحة؟ ربنا عز وجل قال:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114)﴾

[سورة النساء]

كلام الناس في ندواتهم، في مجالسهم، في نزواتهم، في رحلاتهم، في متاجرهم، في مكاتبتهم، الموضوع الفلاني، والفلاني، هذا كلام لا طائل منه، ولكن ربنا عز وجل قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي بعمل صالح، صلاح الدنيا، ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ صلاح الآخرة، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أصلح فساداً، إمامت ميم، أو صلاح الدنيا بالخير، أو صلاح الآخرة، إذا تكلمت كلاماً أدى إلى زواج شاب، أو إلى إيواء رجل، أو إلى خدمة إنسان، أو إلى تأسيس مسجد أو ميثم أو عمل طيب، أو حدثت الناس عن الله عز وجل حتى عرفوه، وحتى استقاموا على أمره، وحتى أحبوه، وحتى أقبلوا عليه، أو أصلحت خللاً، أو مفسدة، أو خصومة، أو خلافاً، أو مشكلة: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ ، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي كن فيكون، زل فيزول، الله عز وجل أمره بين الكاف والنون.

ملوحة البحر:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.. لو درست ملوحة البحر لرأيت العجب العجاب، تطالعك أرقام، مثلاً: لو أخذنا ميلاً مكعباً من مياه البحر، كيلو متر ونصف بكيло متر ونصف تقريباً، هذا الميل المكعب من مياه البحر فيه ألوف الأطنان من الملح،



ولا تزال نظرية ملوحة البحر موضع بحث، كيف كان هذا البحر مالحاً أجاجاً، ولو كان هذا البحر

عذباً فراتاً لفسدت هذه المياه، ولأفسدت، حكمة ما بعدها حكمة، أن هذه المياه مالحة، وكيف أن هذه المياه المالحة تصبح بعد حين عن طريق التبخر والسحب والأمطار مياهاً عذبة تشرب، ألم تسمعوا أن أناساً كثيرين ماتوا وهم على سطح البحر عطشاً؟ أنا قرأت قصة عن باخرة عظيمة غرقت في المحيط الأطلسي نجا قارب نجا واحد عليه 60 راكباً، ومعهم ماء قليل، قائد هذا المركب أمر أن كل إنسان يشرب باليوم ملعقة ماء فقط، بحسب تقديره، فما وصل من هذا القارب إلى الشاطئ إلا راكبان فقط، لأنهم قتلوا بعضهم من أجل ملعقة ماء، رموا ببعضهم في البحر، من أجل ملعقة ماء، وهم على سطح البحر، فما قيمة حياتنا لولا هذا الماء العذب الفرات؟ هذه آية: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

الآن يقول لك: تحلية المياه، يكلف متر الماء الواحد فيما سمعت خمسة عشر ريالاً تقريباً، أجرة تحلية اللتر من المياه تقريباً، المبلغ ضخماً أعلى من البنزين، نحن عندنا التحلية مجاناً، تتم عندنا من نبع الفيحة نأخذها خالصة، وقد سمعت خيراً من أيام أن الماء الفائض عن نبع الفيحة 35 متراً مكعباً في الثانية الذي يلقى في نهر بردى، 35 متراً مكعباً في الثانية ماء عذب فرات.

﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾.. لذلك الإنسان إذا شرب كأس ماء عليه أن يشكر الواحد الديان.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْنَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)﴾

[سورة الملك]

الله جل جلاله في علاه، لو أن الماء ملح، في بعض البلاد الأبار كلها مالحة، جانب البحر تأخذ من ملوحته، شيء لا يحتمل: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ هناك بحيرات مياهها عذبة.

عجائب الأسماك:

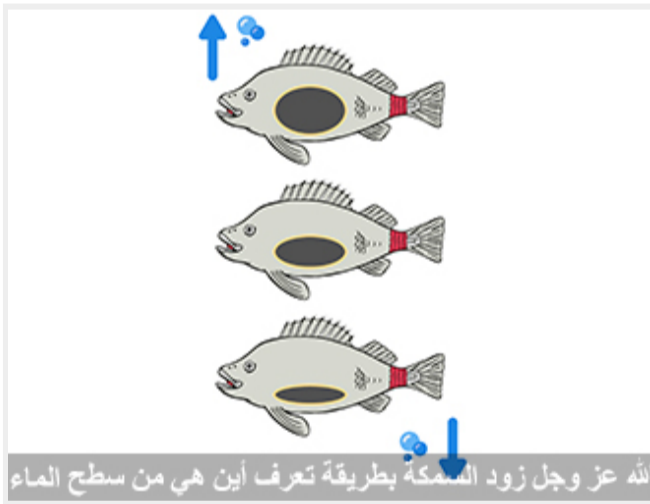
﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾.. الأسماك من آيات الله الدالة على عظمته، هناك ما يزيد عن مليون نوع من الأسماك في البحار، تنوع الأسماك في البحار عجيب، أسماك متوحشة، أسماك كبيرة، هذه الحيتان 130 طناً، ذات مرة حوتٌ جَزَّ سفينة بخارية، أغمّلت كل محرّكاتها 48 ساعة بعكس اتجاه الحوت، وقد جرها الحوت، وزنه 130 طناً، منها 50 طناً من لحم، و 50 طناً دهناً،



رضعته الواحدة 300 كيلو من الحليب من أمه، في اليوم يرضع ثلاث مرات طناً من حليب، يفتح فمه ويتحرك، وجبته المعتدلة أربعة أطنان حتى يشعر بالشبع، هذا بالنسبة للحوت، وهناك أسماك صغيرة جداً، فسفورية، سوداء، شفافة، لها ذيل، لها أرجل،



التنوع بعالم الأسماك شيء يُحير العقول، الله سبحانه أعطى هذا السمك جهاز ضغط، هناك خط على السمك بالقسم العلوي، هذا الخط أنبوب مفرغ من الهواء، فكلما أوغلت السمكة في أعماق البحر ازداد الضغط، فعرفت موقعها من البحر، الله عز وجل زود السمكة بطريقة تعرف أين هي من سطح الماء،



وزودها بجهاز آخر، محفظة بأسفلها حبات رمل، وعند حبات الرمل يوجد أعصاب حساسة، فإذا كان ظهرها نحو سطح البحر تعرف ذلك، فإذا عكست الآية تشعر أنها الآن مقلوبة، معها جهاز آخر يُعرّفها أين الأعلى وأين الأسفل، الجهاز الأول ما بُعدها عن سطح البحر، والجهاز الثاني كيف وضعها وهي في الماء، نحو الأسفل أو نحو الأعلى، والجهاز الثالث إذا أردت أن تطفو على سطح الماء صنعت الهواء من معدتها، السمكة قادرة على أن تصنع الهواء من الطعام، وتملأ به أكياسها الهوائية فتطفو، فإذا أردت أن تغوص أطلقت هذا الهواء فغاصت، شيء عجيب جداً، وهذا السمك له زعانف للتوجيه، وزعانف للتوازن، وزعانف للحركة، وزعانف عرضية، وزعانف طويلة، وزعانف متأرجحة في الخلف، شيء رائع جداً.

في البحار أنواع من الأسماك عجيبة، هناك أسماك طبيعية، يقف أمامها السمك في طابور، إنها تعيش على الإنتانات في جلد السمك، وقد اتفق كل أنواع السمك على أن هذه السمكة لا تؤكل، معها حصانة، لأنها تقوم بمعالجة القروح التي في حراشف الأسماك،



السّمك الطّبي يأكل الإبتانات عند الأسماك الأخرى

هذه كلها بحوث علمية، العلماء راقبوها، وذكروها، وصوروها، أي عالم الأسماك لا ينقضي، ربنا عز وجل قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾.

كلُّ بحر له أسماكه بحسب خصائصه:

بالمناسبة الأسماك التي تعيش في المياه العذبة لا يمكن أن تعيش في المياه المالحة، والأسماك التي تعيش في المياه المالحة لا تعيش في المياه العذبة، والدليل:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53)﴾

[سورة الفرقان]

البرزخ بين كل بحر يوجد حاجز لم تعرف طبيعته، لكن هذا الحاجز موجود فرضاً، لأن مياه كل



هذا البحر لا يختلط بهذا البحر

محيط لا تختلط بالبحر الآخر، البحر الأحمر له كثافة، وله ملوحة، وله مكونات خاصة به، والبحر العربي له كثافة، وملوحة، ومكونات خاصة به، وقد رني هذا في الأعمار الصناعية، مياه البحر الأحمر لن تختلط بمياه البحر العربي، أو الهندي، والعكس صحيح، هذا البرزخ، هذه الآية بقي علماء التفسير قروناً في حيرة منها، كيف جعل الله بين البحرين برزخاً؟! هذا البرزخ مجهولة طبيعته، لكنه مفترض وجوده، لأن مياه كل بحر لا تختلط بمياه البحر الآخر، لا من حيث الملوحة، ولا الكثافة، ولا المكونات، هذا شيء واضح، وثابت، الآن إذا ذهب شخص إلى البحر الأحمر يشعر أن الماء خفيف، أما في المتوسط فالماء ثقيل، يوجد فرق واضح جداً بين البحرين، ومع ذلك البحران متصلان، عند قناة السويس متصلان، وعند باب المندب متصلان، وهذا البحر لا يختلط بهذا البحر، وهذا من بعض بحوث علماء البحار عن طريق مركبات الفضاء، الله عز وجل قال:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَكُومًا تَكْفُرَانِ (20)﴾

[سورة الرحمن]

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ الحجر المحجور هو أن أسماك المياه العذبة لا تنتقل للمياه المالحة، وأسماك المياه المالحة لا تنتقل للمياه العذبة، فلو صبَّ نهر عظيم في عرض المحيط، بعض الأنهار كالأمازون يستمر سيره في البحر مسافة 80 كيلو متراً، ومع ذلك أسماكه تعيش فيه، ولا تنتقل إلى المياه المالحة، ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا مَصْمُومَةً خَصِيصاً لَتَكُونَ حِلْيَةً لِلْمَرَأَةِ:

بقي كلمات قليلة: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.. هذا اللؤلؤ المحار حيوان، له هاتان الصفيحتان العظمتان، وهو في الداخل حيوان هلامي، كيف يدافع عن نفسه؟ إذا دخل إلى المحار جسم غريب دافع عن نفسه بإفراز مادة كلسية فسفورية، هذه المادة يفرزها بشكل كروي كي يقضي على هذا الغريب الذي دخل إلى مملكته،



المحار يكلس كل جسم غريب يدخل مملكته

هذه المادة الكلسية الفسفورية التي يفرزها المحار على المادة الغريبة هي اللؤلؤة، العلماء صاروا يأتون بالمحار ويفتحونه، ويضعون فيه حبة رمل، ويضعون هذه المحارات في صناديق مفتوحة في عرض البحر، ويُنقلونها من فصل إلى فصل، من مكان إلى مكان، هذه حبة الرمل يفرز حولها المحار مادة كلسية فسفورية يجعلها لؤلؤة، لكن هذه اللؤلؤة التي وضعتها أنت في المحار حبة رمل بمستوى فني أقل بكثير من اللؤلؤ الطبيعي، هذا اسمه: لؤلؤ مزروع، عندنا لؤلؤ صب صناعي، لؤلؤ مزروع هذا هو، لؤلؤ طبيعي، لؤلؤ طبيعي، في الطبيعي لا تجد وسط هذه اللؤلؤة أي شيء، صفاء ما بعده صفاء،

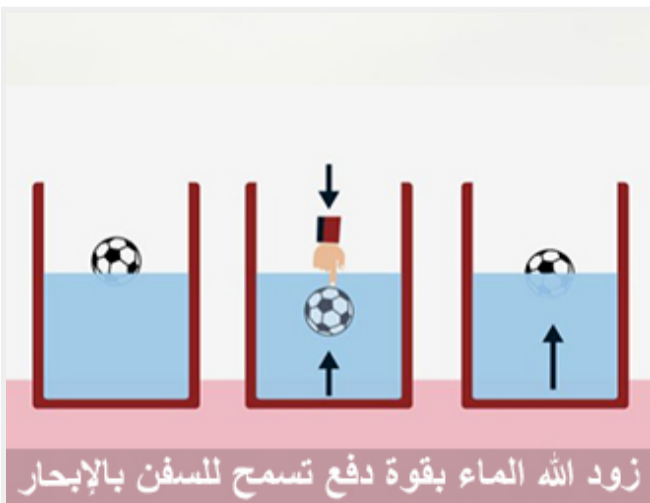


اللؤلؤ الطبيعي صفاء ما بعده صفاء

فربنا عز وجل صمم هذا اللؤلؤ ليكون حلياً للنساء، أي ليست قضية عشوائية، أن هذه الحبات مناسبة للمرأة، حينما خلقها الله عز وجل خُلقت كما قال الله عز وجل: **﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾** مصممة خصيصاً لتكون حلية للمرأة.

تزويد الماء بقوة تماسك عجيبة بقدره الله وحده:

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ﴾.. من أعطى هذا الماء قوة تماسك؟ قوة التماسك في الماء تمنع دخول الأجسام فيه، هذا ما سُمي في علم الفيزياء دافعة أرخميدس. أمسك أنت وعاء من الماء، ضعه في مستودع ماء، فقد نصف وزنه، فقد أربعة أخماس وزنه، معنى ذلك أن الماء يدفع نحو الأعلى، لولا هذه الخاصية لما استخدم البحر ليكون أداة اتصال بين القارات، تعبيد طريق يكلف ألوف الملايين، أما البحر فهو طرق معبد، الباخرة حمولتها مليون طن، الآن يوجد بواخر تحمل مليون طن، وتسير في عرض البحر، وكأنه طريق مهده.



زود الله الماء بقوة دفع تسمح للسفن بالإبحار

ربنا عز وجل حينما صمم الماء بهذا الدافع القوي نحو الأعلى، هذا الذي أشارت إليه الآية الكريمة: **﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾** الاستيراد والتصدير، ونقل البضائع، تحتاج إلى فواكه، إلى شاي، إلى سكر، إلى حاجات، **﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**.

والحمد لله رب العالمين